

البداية والنهاية

وكان يعاني الرسائل والكتابة وقد اكتب مرة في بعث إلى اليمامة فسمع الحديث من يحيى بن أبي كثير وانقطع إليه فأرشده إلى الرحلة إلى البصرة لسمع من الحسن وابن سيرين فسار إليها فوجد الحسن قد توفي من شهرين ووجد ابن سيرين مريضا فجعل يتردد لعيادته فقوي المرض به ومات ولم يسمع منه الأوزاعي شيئا ثم جاء فنزل دمشق بمحلة الأوزاع خارج باب الفرديس وساد أهلها في زمانه وسائر البلاد في الفقه والحديث المغازي وغير ذلك من علوم الاسلام وقد أدرك خلقا من التابعين وغيرهم وحدث عنه جماعات من سادات المسلمين كمالك بن أنس والثوري والزهري وهو من شيوخه وأثنى عليه غير واحد من الأئمة وأجمع المسلمون على عدالته وإمامته قال مالك كان الأوزاعي إماما يقتدى به وقال سفيان بن عيينة وغيره كان الأوزاعي إمام أهل زمانه وقد حج مرة فدخل مكة وسفيان الثوري أخذ بزمام جملة ومالك بن أنس يسوق به والثوري يقول افسحوا للشيخ حتى أجلساه عند الكعبة وجلسا بين يديه يأخذان عنه وقد تذاكر مالك والأوزاعي مرة بالمدينة من الظهر حتى صليا العصر ومن العصر حتى صليا المغرب فغمره الأوزاعي في المغازي وغمره مالك في الفقه أو في شيء من الفقه وتناظر الأوزاعي والثوري في مسجد الخليفة في مسألة رفع اليدين في الركوع والرفع منه فاحتج الأوزاعي على الرفع في ذلك بما رواه عن الزهري عن سالم عن أبيه (أن رسول الله ﷺ كان يرفع يديه في الركوع والرفع منه) واحتج الثوري بحديث يزيد بن أبي زياد فغضب الأوزاعي وقال تعارض حديث الزهري بحديث يزيد بن أبي زياد وهو رجل ضعيف فاحمار وجه الثوري فقال الأوزاعي لعلك كرهت ما قلت قال نعم قال فقم بنا حتى نلتعن عند الركن أينما على الحق فسكت الثوري وقال هقل بن زياد أفتى الأوزاعي في سبعين ألف مسألة بحديثنا وأخبرنا وقال أبو زرعة روى عنه ستون ألف مسألة وقال غيرهما أفتى في سنة ثلاث عشرة ومائة وعمره إذ ذاك خمس وعشرون سنة ثم لم يزل يفتي حتى مات وعقله زاك وقال يحيى القطان عن مالك اجتمع عندي الأوزاعي والثوري وأبو حنيفة فقلت أيهم أرجح قال الأوزاعي وقال محمد بن عجلان لم أر أحبا أنصح للمسلمين من الأوزاعي وقال غيره ما رآي الأوزاعي صاحكا مقهقها قط ولقد كان يعظ الناس فلا يبقى أحد في مجلسه إلا بكى بعينه وبقلبه وما رأيناه يبكي في مجلسه قط وكان إذا خلى بكي حتى يرحم وقال يحيى بن معين العلماء أربعة الثوري وأبو حنيفة ومالك والأوزاعي قال أبو حاتم كان ثقة متبعا لما سمع قالوا وكان الأوزاعي لا يلحن في كلامه وكانت كتبه ترد على المنصور فينظر فيها ويتأملها ويتعجب من فصاحتها وحلاوة عباراتها